١٦ - رحلة الحج

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

نحن اليوم فى الثامن من ذى الحجة . . يوم التروية، اليوم الذى يبدأ فيه الحجاج رحلتهم إلى منى، ثم إلى عرفات، ثم من عرفات إلى المزدلفة، إلى منى لرمى جمرة العقبة، إلى الكعبة للطواف ببيت الله الحرام طواف الإفاضة .

نحن فى أيّام الحج،، والحج هو الركن الخامس – من أركان الإسلام – الذى تمّ الله به الشعائر والفرائض العمليّة، التى جعلها أركان هذا الإسلام .

﴿ **حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ (١) فريضة على كل مسلم – ومسلمة – قدر على أداء الحج بدنيّاً وقدر على أداء الحج ماليّاً، ملك الزاد والراحلة كما روى فى الحديث(٢) . ومعنى (ملك الزاد والراحلة) : أن يملك نفقات الطريق إلى بيت الله، ونفقات الإقامة هناك، كلٌّ على ما يليق بحاله .

ونحمد الله فى هذا العصر أنّنا لا نشكو من قلّة الحجاج، بل ربما شكونا من كثرة الحجاج وازدحام الموسم ممّن يحجون الحجة السابعة والعاشرة والعشرين والأربعين .

الحمد لله، البيت الحرام مزدحم بالطائفين، وطالبو الحج كلّ عام كثيرون وكثيرون، وأكثرهم لا يخرج فى القرعة، لا تُتاح له الفرصة . ولذلك ليس حديثنا

---

(١) قال تعالى : ﴿ . . **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** . . ﴾ [آل عمران : ٩٧].

(٢) الذى رواه ابن ماجة بإسناد حسن، عن ابن عمر رضى الله عنهما : أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ : من الحاج؟ قال : « الشَعِثُ التَّفِلُ » . قال : فأىّ الحج أفضل؟ قال : « العجُّ والثَّجُّ » . قال : وما السبيل؟ قال : « الزاد والراحلة » . وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١ / ٣٤٨ برقم ٦٠١) .

عن هذه الفريضة ولا عن المقصرّين فيها، إنّما حديثنا عن أسرار هذا الحج، وعن الحكم التى توخّاها هذا الدين من وراء هذه الشعيرة العظيمة.

إنّ الحج تذكير للناس بأبى الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – الذى بنى البيت الحرام الذى يحج إليه الناس. هذا البيت الذى فرض الله على كل مسلم أن يتوجه إليه فى اليوم خمس مرّات إن اقتصر على الفرائض، يولىّ وجهه شطر المسجد الحرام: ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ..** ﴾ [البقرة: ١٥٠].

هذا البيت بناه إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٢٧]. أوّل بيت وُضع فى الأرض وأُسّس لعبادة الله وحده.

الكعبة: البيت الحرام، فُرض علينا أن نتوجه إليه فى صلواتنا، فهو قبلة المسلمين، وأن نطوف به فى العمر مرة واحدة فى هذه الفريضة العظيمة. نطوف بالبيت ونؤدى المناسك حول البيت وبالقرب من البيت.

الحج شحنة روحيّة هائلة:

هذا الحج جعله الله سبحانه وتعالى شعيرة متميزة، فيه شحنة روحيّة وعاطفيّة ووجدانيّة للإنسان المسلم يذهب إلى تلك الأرض محرما. ما معنى (محرما)؟ أى ناوياً للحج إلى بيت الله، متجرّداً – إن كان رجلاً – من ثيابه العاديّة، الثياب التى فيها الصنعة وفيها التزويق، يلبس ثياباً فطريّة.. ثياباً طبيعيّة، ليس فيها صنعة الخيّاط، ليس فيها تزويق الناس، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، بما يُكفنّ به المؤمنون من الثياب البيض.

بعض الفلاسفة دعا الناس أن يتخلّوا أحياناً عن الحياة المدنيّة المصطنعة الملّفقة، وأن يعودوا ما بين الحين والحين إلى الطبيعة، ليعيشوا بين أحضانها، ويتجرّدوا من القيود التى قيدوا بها أنفسهم.

هذه عودة إلى الطبيعة.. إلى الفطرة.

يحرم الحاج ويذهب إلى تلك الأرض المقدسة، تهبّ عليه الذكريات الإبراهيميّة من بعيد، والذكريات المحمديّة من قريب.

إيحاء هذه الشعائر: إن قوّة الجماعة الإسلاميّة ووحدتها، وتجردها من زخارف الدنيا، ونداءاتها لله: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) لها أثرها فى نفسية المسلم وفى تحريكه من داخله.

هذه المعانى تهزّ المسلم من أعماقه هزّاً، وتعيده كأنّما هو مخلوق جديد، كأنّما وُلد من جديد. فيعود أطهر قلباً، وأصدق عزماً على الطاعة، وأكثر ندماً على المعصية، ولذلك سرعان ما نجد الإنسان بعد الحج قد تغيرّ وأصبح إنساناً آخر، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «من حجّ، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمّه»(١)، لقد وُلد ميلاداً جديداً.

الحج توسيع لأفق المسلم:

الحج توسيع لأفق المسلم، المسلم الذى عاش فى وطنه، أو فى قريته لا يخرج منها، ولا يعرف غيرها، ولا يسمع ببلاد سواها. الحج يرفع مستواه، يصله بالعالم الإسلامى، يلقى مسلمين من أنحاء الأرض، من أجناس شتّى، وأوطان شتّى، ولغات شتّى، وطبقات شتّى، فيتسع أفقه، ويعرف روعة هذا الإسلام وعالميته، وسعة أفقه، وأنّ له إخواناً مسلمين فى أنحاء العالم.

فهذه بعض المنافع الى يشهدها ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ..**﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]، منافع بعضها مادية.. تجاريّة، وقد كان بعض الصحابة يتحرجون من التجارة فى الموسم، ويخافون أن يكون هذا خدشاً فى نيتّهم وإخلاصهم فى هذه العبادة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن**

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن ماجة، والترمذى إلاّ إنه قال: «غفر له ما تقدم من ذنبه»، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٤١ برقم ٥٨١).

﴿ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ.. ﴾ [البقرة: ١٩٨] لا حرج فى أن تتجر فى الموسم وتبتغى فضل الله ورزق الله، ما دام هدفك الأساسى هو أداء هذه الشعيرة.

الحج تدريب عملى على ممارسة مُثل الإسلام :

والحج كذلك تدريب عملى على المبادىء العظيمة التى جاء بها الإسلام:

١ - تدريب على ركوب المشقّة :

الإنسان يذهب إلى الحج، فيترك وطنه، ويهجر أهله وأحباّءه، ويهاجر إلى الله عزّ وجلّ، هجرة لا يبتغى بها إلاّ وجه الله تعالى. يعانى من السفر ووعثاء السفر، والسفر قطعة من العذاب أيّاً كانت وسيلة السفر. سواءٌ سافر بالبرّ أم بالبحر أم بالجو، السفر قطعة من العذاب. الحج قديما كان بالدواب، ولكنه لم يكن يحتاج إلى تأشيرات، ولا إجراءات كسفر اليوم.

ولم يشأ الله أن يجعل هذا الحج إلى مدينة من المدن الجميلة: لبنان أو سويسرا، وإنّما جعله إلى واد غير ذى زرع. وشاء الله أن يربطه بالأشهر القمريّة ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ.. ﴾ [البقرة: ١٩٧] : شوال وذو القعدة وذو الحجّة، وهذه أشهر تتعاور على فصول السنة، فأحياناً يأتى الحج فى الصيف، وأحياناً فى الربيع، وأحياناً فى الخريف، وأحياناً فى الشتاء، مثل الصيام أيضاً، ليعتاد المسلم أداء شعائره فى كلّ فصول العام.

شاء القدر أن يحمّل المسلم ركوب المشقّات، وأن ينزل فى هذا الوادى الضيّق، وادى (منى)، لينصب الخيام، ويعيش حياة أشبه بحياة الكشّافين والجوّالين، ينام على الحصى.. على الحصباء، ما استطاع أن يفعل ذلك.

هذا هو الحج.

الحج رحلة مشقة يبذل فيها المسلم من نفسه ومن ماله. العبادات الإسلاميّة بعضها عبادات بدنيّة كالصلاة والصيام، وبعضها عبادات ماليّة كالزكاة، وبعضها يجمع بين البدن والمال مثل الحج، فهو عبادة بدينّة ماليّة، يتحمّل الإنسان فيها المشقّة: يبذل من بدنه، ويبذل من ماله.

وينبغى للمسلم أن يتحرّى المال الحلال. أن يحج من مال طيبّ، فالحج المبرور هو الذى يكون بالمال الطيب، وبالنيّة الخالصة، وألاّ يكون فيه رفث ولا فسوق ولا جدال « . . والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة »[1].

٢ - تدريب على المساواة :

فى الحج يتدرب المسلم على تحمّل المكاره والمشقات، ويتدرب المسلم على معنى المساواة. الإسلام جاء وأعلن فى الناس أنّهم سواسية كأسنان المشط، وجاءت عبادات الإسلام تؤكدّ هذا مثل صلاة الجماعة، يقف كل إنسان بجوار من عن يمينه وعن شماله، الحفير بجوار الوزير، والصغير بجوار الكبير، والغنى بجوار الفقير.

ولكن فى الصلاة يظل الناس متمايزين بملابسهم وشاراتهم، هذا يلبس جلباباً، وهذا يلبس بدلةً، وهذا يلبس جُبّةً، وهذا يلبس ثوباً غالياً، وهذا يلبس ثوباً رخيصاً، وهذا يضع عمامة على رأسه، وهذا يضع (غترة)، ولكن فى الحج تجرّد الناس من هذه الشارات المميزّة كلّها، ولبسوا هذه الثياب التى هى أشبه بالأكفان.

بعض الناس يظنّ أنّ الممنوع هو (المخيط) فقط أى الذى دخلته الخياطة، لا، المقصود الصنعة، المقصود هو الثياب المفصّلة على قدر الجسد، ولهذا لم استرح للثياب التى تصنع وفيها (الكباسيل)، ويلبس الإنسان شيئاً أشبه (بالتنّورة)، لا، ليس هذا هو المقصود. المقصود أن يلبس الإنسان الثياب الطبيعيّة، وأن يتدرّب على معنى المساواة، هذا هو ما يريده الإسلام.

يقف الجميع فى عرصة عرفات . . فى ساحة عرفات، وقد تساووا أمام الله عزّ وجلّ، كلّهم سواسية، ولذلك قال النبى ﷺ فى أواسط أيّام التشريق: « يأيّها

---

(١) رواه مالك، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنّسائى، وابن ماجه، عن أبى هريرة رضى الله عنه: وأوّله: « العمرة إلى العمرة كفارّة لما بينهما . . » (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ٣٤٢ برقم ٥٨٢).

النّاس إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمىّ، ولا لعجمىّ على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى . . . »[1] .

الحج تدريب على المساواة الحقيقيّة .

٣ - تدريب على الوحدة :

وهو تدريب على الوحدة أيضا، هذه أمّة واحدة، آمنت بربّ واحد، واتبعت رسولاً واحداً، وأدّت شعائر واحدة، ولها هدف واحد، ولها منهج واحد . وفى الحج تتجلّى هذه الوحدة : وحدة المشاعر، ووحدة الشعائر، ووحدة الهدف، ووحدة السلوك، ووحدة العمل، فالكل يؤدّون أعمالاً واحدة، ووحدة القول والهتاف : « لبيك اللهم لبيك . . » .

هذه الوحدة تجسّد هذا المعنى الكبير : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . .** ﴾[2] . ينبغى أن تقف الأمّة كالبنيان المرصوص يشدّ بعضها بعضا، وخصوصاً إذا حلّت بساحتها الشدائد وأخاطت بها المحن والكربات، يجب أن تتجسّد وحدتها حينئذ .

الحج يجسّد هذه الوحدة وهذا المعنى الكبير .

٤ - تجسيد لمعنى السلام :

يجسّد الحج كذلك معنى آخر، ويدرّب المسلمين عليه، إنّه معنى (السلام) .

يتهمون المسلمين بأنّهم دعاة حرب، والمسلمون دعاة سلام . ورحلة الحج تدريب على معنى السلام، هى رحلة سلام إلى أرض السلام فى زمن السلام .

---

(١) قطعة من خطبة النبى ﷺ أوسط أيّام التشريق، وقد رواها أحمد فى مسنده من حديث أبى نضرة . انظر (الفتح الربانى مع شرحه بلوغ الأمانى : ١٢ / ٢٢٦ برقم ٤٢٧) . وأوردها الهيثمى فى (مجمع الزوائد : ٣ / ٥٨٦ برقم ٥٦٢٢) ثم قال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) الأنبياء : ٩٢ . وتتمّتها : ﴿ **وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ .

أرض الحج أرض السلام: الأرض المقدّسة.. الكعبة.. البيت الحرام، الذى من دخله كان آمنا، وقال فيه ابن الخطاب – رضي الله عنه – : (لو رأيت فيه قاتل أبى ما مسسته بأذى)، ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا..** ﴾ [البقرة: ١٢٥]، أرض محرّمة لا يُصاد صيدها، ولا يُقطع حشيشها، حتى صيد البر لا يمس ولا يذبح ﴿ **.. وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا..** ﴾ [المائدة: ٩٦].

زمن الحج زمن السلام: لأنّ معظم أعمال الحج فى ذى القعدة وذى الحجة، وهما شهران محرّمان ﴿ **.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ.** ﴾ [المائدة: ٢]. جعل الله الأشهر الحرم هدنة إجباريّة للمسلمين، يوقف فيها القتال وتُحقن فيها الدماء، ويُصان فيها السلام.

هكذا يعلّم الله تعالى المسلمين فى هذه الرحلة العظيمة: معنى السلام، وأعمال السلام.

٥ – الحج مؤتمر عالمى :

والحج مؤتمر ربانى للأمّة الإسلاميّة، تجتمع فيه الأمّة الإسلاميّة من مشارق الأرض ومغاربها، مؤتمر لم يدع إليه ملك ولا أمير ولا رئيس، إنّما دعا إليه ربّ العالمين عزّ وجلّ، دعا الناس إلى هذا المؤتمر، ليلتقوا على كلمة سواء، على كلمة الإسلام، فينبغى للمسلمين أن يستفيدوا من هذا المؤتمر السنوى العظيم.

يلتقى كل عام نحو مليونين أو أكثر من المسلمين، فهل يستفيدون؟ هل يشهدون منافع لهم؟ هل يتدارسون مشكلاتهم؟ هل يتعاون أهل الرأى فيهم على ما يجب عمله؟ أم أنّ الناس يذهبون ويجيئون ولم يستفيدوا من هذا المؤتمر العظيم؟

إنّ أعداء الإسلام هم الذين يدركون خطر هذا المؤتمر، حتى إنّ أحدهم فى مطالع هذا القرن – وهو من المبشّرين العتاة – كتب تقريراً عن فشل التنصير فى مصر وأسبابه قال فيه: سيظلّ الإسلام فى مصر صخرة عاتية تتحطم عليها

محاولات التبشير المسيحى، مادام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن.. والأزهر.. واجتماع الجمعة الأسبوعى.. ومؤتمر الحج السنوى[1] !

هكذا قال هذا الرجل الذى يرصد الحياة الإسلامية: ما دام المصحف يقرأ ويرتل صباح مساء، وما دام حفّاظه وقرّاؤه بالملايين، وما دام الأزهر والعلماء موجودين يقولون كلمة الحق، ويعلّمون الناس الدين، ويدعون إلى الله، وما دامت خطبة الجمعة الأسبوعيّة قائمة، يلتقى الناس عليها ويتعلمون دينهم، ويتذكرون ما نسوه، ويتنبهون لما غفلوا عنه، وما دام مؤتمر الحج السنوى يجمع المسلمين من أقاصى الأرض، يجمع شتاتهم، ويحيى مواتهم، ويذكّرهم بربهم ودينهم، ما دامت هذه الأربع قائمة فلن يستطيع التبشير أن ينجح فى مهمّته.

هذا ما ينبغى أن نستفيد منه نحن المسلمين من هذا المؤتمر العظيم، الذى يعقد سنوياً، وما يستطيع أحد أن يمنعه، ولا يستطيع أحد أن يتدخل فى عقد هذا المؤتمر الربانى الإنسانى العالمى العظيم.

يا أيّها الإخوة :

إنّ النبى ﷺ عرف قيمة هذا المؤتمر، وكان يعلن فيه القرارات العظيمة المهمّة. فى أوّل سنة حجّ فيها أبو بكر – رضى الله عنه – بالمسلمين، أعلن النبى ﷺ فى ذلك الحج مبادىء مهمّة: أعلن إنهاء العهود بينه وبين المشركين، وأعلن أنّه لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان.

وفى السنة التالية حجّ النبى ﷺ بنفسه حجته الوحيدة، حجّة الوداع وحجة البلاغ، فأعلن على الناس مبادىء الإسلام العالميّة الإنسانيّة، وقال: « .. إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى

---

(١) ولذلك باءت محاولاتهم – والحمد لله – بالاخفاق والفشل، رغم المدارس التى أنشأوها، والمعاهد التى أسّسوها، والأموال التى بذلوها، والكتب التى وزّعوها، والمجلاّت التى نشروها بين المسلمين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٦].

بلدكم هـذا . . »[1] ، وأعلن بيـانه العظيم عـلى النـاس قـائلا : « ألا هـل بلغت؟ اللهم فاشهد » .

نحن علينا أن نستفيد من هذا الحج، علينا أن نستفيد من حجنا نحن المسلمين، ونعلن على الدنيا كلّها أنّ هذه الأمّة لا زالت أمّة متمسكة بالإيمان بربها . . بدينها . . بقرآنها . . بمحمّدها . . برسولها، ولن تتخلّى عن هذا الدين، وأنّها تقف صفّاً واحداً أمام كلّ عدوان على مقدّساتها، وأنّها لن تفرّط فى مسجدها الأقصى الذى ربطه القرآن بالمسجد الحرام فى سورة معروفة، جعل هذا مبتدأ الإسراء وجعل الآخر منتهى الإسراء: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا . .** ﴾ [الإسراء: ١].

لن تفرّط الأمّة فى المسجد الأقصى، كما لم تفرّط فى المسجد الحرام. علينا أن نعلن هذا فى هذا الموسم وفى كل موسم، حتى يكون حجنا مبروراً، وذنبنا مغفوراً، وسعينا مشكوراً، وعملنا مبروراً، إن شاء الله.

اللهّم اغفر لنا ما مضى ، وأصلح لنا ما بقى، ﴿ **. . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

ادعوا الله يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

لا زال العدوان الإسرائيلى الغاشم قائماً متبجحاً، لا يستحى من أحد، يتحدى العرب كلّ العرب، ويتحدى المسلمين كل المسلمين، ويتحدى العالم كلّ العالم، لأنّه يعتزّ بترسانته النوّويّة التى يملكها، ولا يملك أحد فى المنطقة شيئاً

---

(١) قطعة من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى وصف حجّة النبى ﷺ، الذى رواه مسلم فى صحيحه، انظر (صحيح مسلم بشرح النووى: ٨ / ١٨٢) ط . دار الفكر.

من ذلك، ويعتزّ بأوليائه وحلفائه من الأمريكان، والذى يؤيّدونه فى كل ما فعل، ويصدّقونه فى كل ما قال، ويسندونه فى كلّ عدوان يقوم به.

لا زال هذا العدوان الإسرائيلى على لبنان الشقيق قائماً، شامخاً برأسه، ثانياً لعطفه، مغترّاً بنفسه.

لا زال هذا العدوان يأكل من كرومنا عناقيد العنب، ويطعمنا نحن من ترسانته (عناقيد الغضب). (١) الغضب علينا، الغضب على لبنان، الغضب على حزب الله الذى يدافع عن وطنه.

هل كان الدفاع عن الوطن خطأ أو خطيئة؟ هل كان الدفاع عن الأوطان المحتلة جريمة؟ فى أى عُرْف؟ فى أىّ فلسفة؟ فى أىّ دين؟ فى أىّ مذهب؟ فى أىّ قانون؟ دلونا على ذلك.

أليس من حق الوطن المحتل أن يجند أبناءه للدفاع عنه أمام العدو المغتصب؟

لم يُجرم حزب الله حينما أطلق صواريخ الكاتيوشا على شمال إسرائيل، إنّ له الحق كلّ الحق فى أن يدافع عن نفسه، وإسرائيل هى المتحرّشة دائماً، وهى البادئة دائماً.

وأحبّ أن أقول لكم أيّها الإخوة: المسألة ليست حزب الله، وليست صواريخ الكاتيوشا، هذه كلّها تعلات أشبه بما يقال: أنت الذى عكّرت علىّ الماء. إنه تحكم الذئب فى الحَمَل، إنّ إسرائيل تريد أن تعلّمنا إذا كنّا جهلنا، وتنبهنا إذا كنّا غفلنا، وأن تذكرنا إذا كنّا نسينا: أنّها سيدة المنطقة، وأنهّا هى المتحكمة فى الرقاب،تأمر وتنهى، وتحلّ وتحرّم، وتفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، لا تُسأل عمّا تفعل.

هذا ما تريده إسرائيل.

---

(١) العملية التى قامت بها إسرائيل ضد لبنان فى قانا، وراح ضحيتها أعداد كبيرة، سمتها إسرائيل (عناقيد الغضب) وكان ذلك فى ١٨ / ٤ / ١٩٩٦م (القرضاوى).

ليست المسألة (حزب الله) . المسألة : تركيع لبنان . . إذلال لبنان، وإذلال سوريا، وإذلال العرب، حتى يرضخوا لمشيئة إسرائيل، حتى يسير الجميع فى ركاب إسرائيل، حتى يقول الجميع : سمعنا وأطعنا، حتى ينحنى الجميع راكعين، ويطأطئوا أذلاّء ساجدين .

وإسرائيل تفعل ذلك شامخة، لأنهّا ترى العجز العربى . . والذلّ العربى . . والهوان العربى . . والتمزّق العربى، بحيث لا نرى – كما قلت لكم فى الجمعة الماضية – صراخاً . . لا نرى احتجاجاً صارخاً، إنما نرى احتجاجات هامسة، والهمس ينيم اليقظان والصراخ يوقظ النّعسان .

هذا للأسف ما نراه .

إسرائيل متمادية فى غيهّا . . فى عدوانها، وهذا يثبت لنا ويؤكد لنا ما قلته من قبل وكررته، ولا زلت أقوله وأكرّره وأؤكدّه : أنّ الإرهابى الأكبر فى هذه المنطقة ليس هو جماعة حماس وليس هو الجهاد الإسلامى، وليس هو حزب الله، فهؤلاء كلّهم أبطال يدافعون عن مقدّساتهم وعن أوطانهم، الإرهابّى الأكبر هو (إسرائيل) .

إسرائيل قامت منذ قامت وقبل أن تقوم – حينما كانت عصابات – على الإرهاب .

من منّا ينسى عصابات (الهاجاناة) وعصابات (الأرجون)؟ العصابات التى سفكت الدماء، ونهبت الأموال، وخرّبت الديار، وبقرت بطون النساء، وفعلت الأفاعيل، حتى فرّ الناس من بيوتهم مذعورين .

كانت هذه إسرائيل قبل أن تقوم لها دويلتها، وبعد أن قامت دويلتها أصبحت أكثر إرهاباً .

إنها (الإرهابى الأكبر) فى المنطقة .

إنّ المسألة ليست (حزب الله)، إنهّا رسالة موجّهة إلى العرب . . كلّ

العرب: أنّ إسرائيل – بطائراتها وقوّاتها المسلّحة – قادرة على الوصول إلى أىّ عاصمة عربيّة، لا يمنعها من ذلك مانع، ولا يصدّها صاد، ولا يردّها راد، ولو أرادت إسرائيل ذلك لفعلت. من يمنعها؟ أين القوّة التى تردعها؟ لا نجد قوّة فى بلاد العرب ولا فى بلاد المسلمين تملك أن تردع إسرائيل، وأن ترد لها الصاع صاعاً واحداً، أو نصف صاع، أو ربع صاع!! ولا نقول (الصاع صاعين) كما يقولون.

هذا ما نراه – أيها الإخوة – فى موقفنا.

والآن يتنادون بوقف إطلاق النار؟ لماذا تسمّونه (وقف إطلاق النّار)؟! وهل هناك نار متبادلة من الجانبين حتى يوقف إطلاق النار؟ لماذا لا تسمّونه: إيقاف العدوان؟

وهب أنّ العدوان قد وقف، فما هى نتيجة آثار العدوان؟ البلاد التى هُجرّت ونزح أهلوها، حوالى نصف مليون من الشيوخ والأطفال والنساء نزحوا هائمين على وجوههم، تاركين بيوتهم ومساكنهم، ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾ [النساء:٩٨] ماذا تكون نتيجة وقف إطلاق النّار؟ ماذا تفعلون بهؤلاء؟ ماذا تفعلون بالقرى التى هُدّمت، ومحطّات المياه والكهرباء التى حُطمت ومئات الملايين التى خسرتها لبنان، وهى تحاول أن تعمر أرضها التى خرّبتها الحروب الأهلية؟

لبنان مهدّد باستمرار، كلّما حاول أن يبنى هدموا ما بناه، وذلك أنّ لبنان له طبيعة خاصّة، إنّه بلد يمكن أن ينافس إسرائيل – فى المستقبل– فى سوق الاقتصاد، التى تريد إسرائيل أن تسيطر عليها وحدها. لبنان قد يكون له شئ فى سوق المنافسة، فتريد إسرائيل أن تضرب لبنان حتى لا تقوم له قائمة، ولا يطمع أن يكون له نقير أو قطمير فى تلك السوق.

إسرائيل تريد أن تنفرد بالمنطقة، تريد المنطقة ملكاً خالصاً لها، تصول فيها وتجول، وتعربد كما تشاء.

هذه هى إسرائيل.

إسرائيل كيان دخيل على المنطقة، قائم على الاغتصاب والعدوان، لا فرق فى ذلك بين حزب (العمل) وحزب (الليكود)، لا فرق بين هذا وذاك.

سُئل أعرابى كان عنده حماران سيئان – اسمهما: حمارا العبادى– : أىّ حماريك شرّ؟ فقال: هذا وهذا! أى كلاهما شر.

كلاهما شرّ: العمل، والليكود. كما يقول الشاعر:

وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ... ﴾ [الأعراف:٣٨]، لا فرق بين هذا وذاك إطلاقاً. (بريز) سفّاح أثيم، لا يقلّ عن (رابين) ولا عن (شامير) ولا عن (بيجن)، كلّهم سفّاحون.

ينبغى أن يعلم هذا الذين وضعوا أيديهم فى أيدى (بريز) السفّاح القاتل، الذى لوّثت يده دماء اللبنانيينّ.. دماء الأطفال والنّساء فى قرية (قانا)، الذين قُتلوا بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله، حتى الذين استظلّوا بعلم الأمم المتحدة ضُربوا، حتى الذين كانوا يركبون سيّارة الإسعاف ضُربوا وذُبحوا.

هذا سفاح ينبغى لمن وضع يده فى يده، أن يستغفر الله عزّ وجلّ، ويتوب إليه، ويغسل يده سبع مّرات إحداهنّ بالتراب.(١).

نحن أمام سفّاحين معتدين مارسوا الإثم، واستمرّوا عليه، واستمرأوه. وأحبّ أن أقول لهم: إنّ هذه الأمّة لن تظل كذلك، وكما يقول الشاعر:

وإذا الذئاب استنعجت لك مرّة فحذار منها أن تعود ذئابا!

لن تظلّ الأمّة تستنعج وتستضعف، سيظهر منها الأبطال الذين يأخذون

---

(١) قياساً على مسألة تطهير الإناء إذا ولغ فيه الكلب، فقد روى مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب» وفى رواية: «إحداهن» عند البزار، وعلى صحتها فهى مطلقة يجب حملها على المقيدة. انظر (فيض القدير للمناوى: ٤ / ٢٧٢ برقم ٥٢٨٠) و (سبل السلام للصنعانى: ١ / ٣٧).

بثأرهم من المعتدين عليها، وإن ذلك لقريب إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز، وعندنا بشائر القرآن والسنة والتاريخ والواقع ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٢] (١).

يا أيها الإخوة:

نحن مقبلون على العيد، وعلينا أن نستقبل هذا العيد بما ينبغى له، من توجه إلى الله سبحانه وتعالى أن يمنّ على المسلمين بعيد يفرحون فيه الفرحة الحقيقية، يفرحون بنصر الله: ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ** ﴾ [الروم: ٤، ٥].

علينا أن نؤدى الشعائر التى طلبها الإسلام منّا، الإسلام شرع فى عيد الفطر (صدقة الفطر) طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، وشرع فى عيد الأضحى (الأضحية)، تذكيراً بسنة إبراهيم، وتوسعة على النفس وعلى الفقراء والمساكين. فالإسلام لا يريد أن تكون فرحة العيد مقصورة على الواجدين والموسرين على حين يحرم منها المعدمون والمعسرون، لذلك شرع (صدقة الفطر) فى عيد الفطر، وشرع (الأضحية) فى عيد الأضحى.

ويجوز للمسلم أن يضحى فى بلد آخر. إذا كان هنا مسلم من باكستان أو بنجلادش أو من اليمن أو من مصر، وله أهل وأقارب هناك فى بلده، يستطيع أن يوكّلهم فى أن يضحوّا عنه فى بلد هو أشدّ حاجة من هذا البلد الذى وسّع عليه الله تعالى.

وكذلك يستطيع المسلم أن يشترى أضحية من بلد إسلامى يوكّل من يضحّى عنه هناك – فى نيجيريا .. فى السنغال..فى بنجلادش. . فى الفلبين.. فى البوسنة والهرسك.. فى فلسطين، فى الشيشان.. فى أىّ بلد من هذه البلدان – فالمسلمون أمّة واحدة، يسعى بذمتّهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم، وهم جميعا إخوة، وأوطان الإسلام يسميها الفقهاء (دار الإسلام)، فهى دار واحدة. ولذلك أنا أستطيع أن أوكّل أخى المسلم فى بلد آخر أهله أشدّ حاجة، وأنا

(١) وأولها: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾.

أضحّى هنا إن كان عندى سعة أو أكتفى بشراء اللحم أو بأخذ اللحم من جارى وقريبى ولا حرج فى ذلك أبدا.

الإسلام أجاز نقل الزكاة، مع أنّ النبى عليه الصلاة والسلام قال: «تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم» (١) ولكن الفقهاء أجازوا نقل الزكاة لاعتبارات، كأن ينقلها الإنسان إلى قرابة له، أو إلى بلد أشدّ حاجة، أو إلى بلد فيه مجاعة أو فيه كارثة، لأن المسلمين متضامنون فيما بينهم، وهذا ما نقوله بالنسبة للأضحية.

أريد أن أنبه الإخوة إلى أننا سنصلى العيد بمشيئة الله تبارك وتعالى فى (أستاد نادى قطر الرياضى) نسأل الله أن يعيد عيلنا أمثال هذا العيد، وعلى أمتنا الكبرى، بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ويرضى.

اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا، واجعل عذنا خيرا من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى ونفوسها على المحبّة، وعزائمها على الجهاد فى سبيلك، ونيّاتها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهمّ انصر إخوتنا فى فلسطين ولبنان، وانصر إخوتنا فى البوسنة والشيشان، وانصر إخوتنا فى كشمير والسودان وانصر إخواننا المجاهدين فى سبيلك حيثما كانوا، وخُذ بأيدى إخوتنا المضطهدين والممتحنين، اللهم افكك بقوّتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ أنزل عليهم بأسك الذى لا يردّ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس.

عن القوم المجرمين، اللهمّ إنّا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم لا تدع لهم سبيلا على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَومِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

ربنا اجعلنا مقيمى الصلاة ومن ذرّيّاتنا، ربنا وتقبل دعاء.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم آمنين، ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٥].

* * *

١٧ - خطبة عيد الأضحى

(ألقيت بمدينة الدوحة عام ١٤١٦هـ)

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتنزلّ الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات. الحمد لله الذى هدانا لها وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله. الحمد لله الذى أتمّ علينا نعمة الإسلام، وأكمل لنا هذا الدين القيمّ، وجعلنا به خير أمّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبىّ أُرسل، وأتم علينا النعمة بأعظم منهاج شرع: منهاج الإسلام ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣].

وأشهد أنّ سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، معلّم الناس الخير، وهادى البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق للحق، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف:١٥٧] ورضى الله عّمن دعا بدعوته، واهتدى بسنّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نحن فى يوم العيد.. عيد الأضحى، فى يوم الحج الأكبر كما سمّاه الله تبارك وتعالى وسمّاه رسوله ﷺ. فى هذا اليوم تُقضى معظم مناسك الحج:

يذهب الحجاج إلى منى ليرموا جمرة العقبة – بعد أن وقفوا بالأمس فى صعيد عرفات، وبعد أن أفاضوا إلى المزدلفة، وبعدها يذهبون إلى منى ليرجموا الشيطان اللعين – ثمّ يحلقون أو يقصّرون ويذبحون أو ينحرون، ويذهبون إلى الكعبة طائفين طواف الإفاضة ﴿ **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج:٢٩].

هذا يوم الحج الأكبر. فى هذا اليوم يجتمع المسلمون من أنحاء العالم ممثلين من كل بلد، مليونان جاؤوا من شتىّ البلدان، وشتى الألوان، ومختلف الأجناس، ومختلف اللغات، ومختلف الطبقات. ولكن ذابت بينهم الفوارق، فلا يعرف أسيوى من إفريقى، ولا عربى من عجمى، ولا غنى من فقير، ولا أمير من خفير، لا أبيض ولا أسود، ولا سيّد ولا مسود، ولا حاكم، ولا محكوم، الكلّ سواسية فى هذا الموقف أمام الله تعالى.

جاء الإسلام ليوحّد الأمّة بعباداته: الجماعة فى الصلوات الخمس توحد أهل الحى، الجمعة توحيد أكبر، العيد توحيد أكبر لأهل البلدة، الحج توحيد المسلمين جميعا، يجمع هؤلاء المليونين أو الأكثر من مليونين، وقد جاؤوا لله محرمين، ملبين، ساعين، طائفين، قلوبهم خاشعة، عيونهم دامعة، أعناقهم لله خاضعة، أكفّهم بالدعاء ضارعة.

من غير الإسلام يقدر أن يجمع هذه الملايين فى صعيد واحد؟! الحج يبرز قوّة الإسلام كما قال النبى ﷺ لصحابته: «رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوّة» (١).

فى هذا الحج تتجلّى قوّة الأمّة الإسلاميّة.

نحن الأمّة الإسلاميّة نملك ما لا يملك غيرنا، ولكنّا للأسف لا نوظف ما نملكه، لا نحسن توظيف قدراتنا.

---

(١) أورده ابن إسحاق فى سيرته من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى وصف عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة. انظر (تهذيب سيرة ابن هشام :ص٢٣٧) ط. دار البحوث العلمية بالكويت، تحقيق عبد السلام هارون.

نحن الأمّة الإسلاميّة نملك أكثر من ألف مليون من البشر (مليار وربع المليار أو ثلث المليار فى أنحاء العالم). نملك القوة العدديّة وهى نعمة من الله امتنّ بها على عباده حينما قال: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٦].

معنا قوّة العدد.

معنا قوّة المادّة.. القوّة المادية والاقتصادية. الأمة الإسلامية تملك من الثروات المذخورة والمطمورة والمنشورة ما لا يملك الآخرون. عندنا من الثروة الزراعية والثروة المعدنيّة والثروة المائية، ما لا يملك غيرنا.

نملك أواسط القارات، ومنابت الرسالات، ومهابط الحضارات، الأمّة الإسلاميّة تملك ما لا يملك غيرها.

ثم تملك هذه الأمّة أعظم رسالة، تملك الرسالة الخالدة رسالة الإسلام.. رسالة الوسطيّة.. رسالة التوازن، الرسالة التى ربطت السماء بالأرض ، ومزجت بين الروح والمادّة ، وجمعت بين الدنيا والآخرة، ووازنت بين العقل والقلب، ووفّقت بين حريّة الفرد ومصلحة المجتمع.

نحن المسلمين وحدنا الذين نملك هذه الرسالة.

ونملك المصادر المعصومة التى لا تتغير ولا تتبدل. نملك الوثيقة الإلهية التى لا يملكها دين من الأديان ولا أمّة من الأمم. نملك الوثيقة السماوية: القرآن الكريم، الذى أنزله الله ، فبقى إلى يومنا هذا كما أنزله على رسوله محمد ﷺ نقرأه مكتوباً كما كتب فى عهد عثمان بن عفّان رضى الله عنه.

من غير الأمّة الإسلاميّة يملك هذه الوثيقة الإلهية؟! نحن نملك: القوة البشرية، والقوة المادية، والقوة الروحية، ولكنّنا لا نوظّف هذه القوى، كأنّما تبرّأنا منها. اليهود يقاومونا باسم التوراة ونحن لا نقاومهم باسم القرآن، هم يتجمعون على التوراة ونحن لا نتجمّع على القرآن، هم يتجمّعون تحت راية اليهوديّة ونحن لا نتجمّع تحت راية الإسلام، هم يحترمون يوم السبت ونحن لا نحترم يوم

الجمعة، هم يقولون (الهيكل) ونحن لا نقول (المسجد الأقصى).

أخرجنا الدين من المعركة، أخرجنا الإيمان من المعركة، والمعركة فى أساسها معركة دينية. اليهود خلطوا القومية بالدين، ونحن عزلنا القومية عن الدين.

اليهود جاؤوا من أنحاء الأرض، من بلاد شتىّ، إلى فلسطين - التى يسمونها: أرض الميعاد - باسم الدين.. باسم التوراة باسم التلمود.

المعركة بيننا وبين اليهود معركة دينية، وكلّ من يريد إخراج الدين من المعركة يخون الأمّة، ويحرم الأمّة أمضى أسلحتها، لا يمكن أن ننتصر على اليهود إلاّ بالإسلام، وبالإسلام وحده، وهذا ما يحسب له اليهود ألف حساب. هم يريدون حرب الإسلام وإخراجه من المعركة تحت أسماء وعناوين شتىّ: الإرهاب حينا، والعنف والتطرّف حينا، والأصوليّة حينا، والمقصود هو (الإسلام)، هو تنحية الإسلام من المعركة، وإخراج الإسلام من القضية، لتبقى قضيّة قوميّة علمانيّة فى نظرنا، وفى نظرهم هم تبقى قضية دينية توراتيّة تلموديّة.

هذا ما ينبغى أن نعلمه أيّها الإخوة.

إنّ ما جرى فى المدّة الأخيرة من ضرب للبنان وتهجير لأبنائه بعد معركة (قانا) الشهيرة. نصف مليون هجّروا، وقتل من قتل من الأطفال ومن النساء ومن الشيوخ الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، أرادت إسرائيل أن تؤدبنا.. أن تلوّح لنا بالعصا الغليظة وتقول: إذا لم تسمعوا لقولى، ولم تطيعوا أمرى، فهذا مصيركم.

ضربت إسرائيل وقتلت وذبحّت، ثمّ أوقفت إطلاق النار، كلّ ما فعلناه وما لهث اللاهثون من أجله: أن يوقف إطلاق النّار!!

أهذا كل ما نريد؟!

وعدوان المعتدى، واغتصاب المغتصب، وظلم الظالم، وقتل القاتل، يذهب بلا قصاص؟!

جوّعوا الشعب الفلسطينى، وحاصروا الشعب الفلسطينى، وماذا صنعنا؟

جاء من يمثلون الشعب الفلسطينى، وغيرّوا الميثاق الوطنى! وفى هذه المرحلة بالذات التى ما كان ينبغى أن يفعل فيها هذا، لكنهم فعلوا هذا، وغيروا ما كان فيه تهديد لإسرائيل وترويع لإسرائيل.

هكذا طلبت إسرائيل وهكذا يجب أن تُجاب، لا ينبغى أن يرفض لها طلب، لا يصحّ أن نقول لها: لا، أو نقول لها: لم ؟!!

هذا ما جرى على أمتّنا.

إنّما يجئ الحجّ ليعطى هذه الأمّة (قوّة).

الحجّ يذكّرنا بأبى الأنبياء وأبينا (إبراهيم) - عليه السلام - الذى وضع الكعبة، ورفع قواعدها، هو وابنه (إسماعيل): ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة:١٢٧].

يربط الله هذه الأمّة - وهى آخر الأمم - بأوّل بيت وضع فى الأرض.. وبإبراهيم بالذات؟ لأنه الذى أمره الله أن يقيم الملّة الحنيفية ﴿ **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [البقرة:١٣٥]، ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [آل عمران:٦٧].

(إبراهيم) أقام الدين لله، حطّم الأصنام، وأبى إلاّ أن تكون عبادته لله، ودعاؤه لله، وتوجّهه لله وحده لا شريك له.

(إبراهيم) هو داعى التوحيد، هو رمز هذا التوحيد الذى هو روح الإسلام، وجوهر هذا الدين، وروح هذه الأمّة وحياتها كلهّا.

(إبراهيم) ينبغى أن نرتبط به.

(إبراهيم) الذى ضحّى بوطنه وهاجر لله، وضحّى بنفسه فألقى فى النّار من أجل توحيد الله، ولم يبال بما أصابه فى سبيل الله، هدّدوه: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ**

وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨] فما بالى إبراهيم بالتحريق ولا التهديد، ولكنّ الله حوّل النّار إلى رَوْح ورياحين وقال لها: ﴿.... يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

(إبراهيم) هو الذى ضحّى بولده، وفلْذة كبده، وقرّة عينه، ومُهجة قلبه. هو الذى ضحّى بابنه الوحيد (إسماعيل)، الذى وهبه الله له على الكبر، فتعلّق به فؤاده، وكلّما نما الولد نما حبّه فى قلبه وازداد تعلّقه به. وهنا غار الله على قلب خليله، وأراد أن يمتنحه بذبح هذا الولد، وكان ذلك فى رؤيا منامية، لم يكن وحياً صريحاً ينزل به جبريل عليه، إنّما رآه فى المنام: ﴿.... يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات:١٠٢]، متى كان ذلك؟ حينما بلغ معه السعى، حينما شبّ عن الطوق، وأصبح يُرجى منه النفع لأبيه، فى هذه الحالة جاء الامتحان ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، هنا لم يكن فى روعة موقف الوالد إلاّ موقف الولد، والولد سرّ أبيه (ومن يشابه أبه فما ظالم). هنا قال إسماعيل لأبيه: ﴿.... افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، نفّذ الأوامر الإلهيّة التى عندك، حتى إنّه لم يقل له: افعل بى ما تؤمر، كأنّما فنى عن نفسه، وفرغ من ذاته، بل قال له: نفّذ ما تؤمر ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ لم يدّع الشجاعة ولم يزعم البطولة، وإنّما وكلّ الأمر إلى الله وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

وفعلاً صبر الوالد وصبر الولد، وسلّما: سلّم الوالد ولده وسلّم الولد عنقه للذبح، وأمسك الوالد بالسّكيّن ليذبح هنا جاء الفرج، لقد نجح إبراهيم فى الامتحان، ليس القصد أن يُذبح الولد، إنّما القصد أن يمتثل الأمر، إنّما القصد أن يعرف أنّه مهما طُلب منه فإنّه منفّذ، ولذلك جاء الفرج من السماء: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٤- ١٠٧].

لذلك شرعت الأضحية فى هذا العيد.. عيد الأضحى، وقد رُوِى: «ضحّوا فإنّها سنّة أبيكم إبراهيم»[1].

كلما ضحّينا تذكرنا هذا الحدث العظيم.. هذا الموقف الجليل، من الخليل وابنه أسماعيل، تذكّرنا كيف يرقى الإنسان إلى أن يضحّى بأعزّ شئ عليه، وأحبّ شئ إليه، وآثر شئ لديه، ما دام ذلك فى سبيل الله. ضحّى إبراهيم بولده، وضحّى ولده بنفسه، كلّ ذلك لله.

ما أجدرنا - أيها الإخوة المسلمون - ونحن فى هذا العيد أن نتعلّم من إبراهيم وإسماعيل درس التضحية.. درس البذل لله.. درس الصبر لله.. درس الطاعة لله ﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات: ١٠٢].

إنّ الذى أذلّ هذه الأمّة، ونكّس رأسها، وأرغم أنفها، وجعلها هيّنة عند أعدائها هو: عدم البذل، عدم التضحية.

إنّ هذه الأمّة أصابها الوهن كما حذرنا النبى ﷺ: «.. ولينزعن الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله فى قلوبكم الوهْن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت»[2]. هذا هو الوهن، هذا سرّ الوهن وسرّ الضعف: - حب الدنيا (تعلّق الناس بالدنيا.. بالمصالح الشخصية والمادية) وكراهية الموت (تشبث الناس بالحياة ولو كانت ذليلة، وهو سبب الجبن).

---

(١) رواه ابن ماجه من حديث زيد بن أرقم (٣١٢٧) بلفظ «... ما هذه الأضاحى قال: سنة أبيكم إبراهيم».

فى الزوائد: فى إسناده أبو داود واسمه نفيع بن الحارث وهو متروك واتهم بوضع الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود فى الملاحم من حديث ثوبان رضى الله عنه، وفيه راوٍ مجهول وباقى رجاله ثقات، لكن رواه أحمد فى المسند بنحوه من طريق آخر وسنده قوى، فصحّ به. انظر (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٥. ١٦ برقم ٤٢٢٤) وأوله: (يوشك الأمم لا أن تَداعى عليكم كما تَداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: يا رسول الله ومن قلّة يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السّيل...».

إنّما فتح الصحابة الفتوح، ودانت لهم البلدان، ودخل النّاس فى دين الله أفواجا، لأنهم هانت عليهم الدنيا، ولأنّهم ما كانوا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، كما قال أبو بكر لخالد : يا خالد احرص على الموت توهب لك الحياة .

حرصوا على الموت فوُهبوا الحياة .

كان خالد بن الوليد فى حروبه مع فارس والروم، يدعوهم إلى أن يُسلموا فيَسلموا ، ويكتب الرسائل إلى قادتهم ويختمها بقوله : « وإلاّ – أى إذا رفضتم – غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) .

فإذا أصبحنا نحن نحب الحياة ونحرص على الحياة كما وصف الله اليهود من قبل : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ** ﴾ [البقرة:٦٩] أىّ حياة عزيزة أو ذليلة، كريمة أو مهينة . كان اليهود أحرص النّاس على حياة، أصبحنا نحن وقد ورثنا أخلاق اليهود قديماً .

فمما يؤسف له أنّ ما وصف الله به اليهود قديماً أصبح الكثيرون منّا يوصفون به . وُصف اليهود بالحرص على حياة أىّ حياة، وُصفوا بأنهم بخلاء بالمال، وُصفوا بالجبن ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ . . .** ﴾ [الحشر:١٤] نحن للأسف أُصبنا بما أُصيب به اليهود .

ما الذى جرى للأمّة؟ هل تغيرّت طبيعة الأمّة؟

وصف الله اليهود بأنهّم ﴿ **بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ** ﴾ [الحشر :١٤]، ونحن نرى أمتّنا اليوم بأسها بينها شديد، يجفو بعضها بعضا، ويعادى بعضها بعضا، بل يقاتل بعضها بعضا، كما رأينا فى حرب العراق وإيران، ثمّ حرب العراق والكويت، أو العراق والخليج، وهو ما مزّق الأمة إلى اليوم فلم يلتئم لها شمل . ولم تعقد لها قمة شاملة . وقد دعا بعض رجالات العرب – بعد العدوان على لبنان – إلى عقد قمة عربية من أجل لبنان، ولو قمة مصغّرة،

فما استجاب لذلك أحد، لأنّ الأمّة أصبحت يضرب بعضها وجوه بعض، لا يجتمع شملها، ولذلك طمع فيها أعداؤها.

لابدّ – أيها الإخوة – أن نحاول أن نجمع شمل هذه الأمّة.. أن نلمّ شتاتها، ولا يجمعها شئ إلاّ الإسلام. الإسلام هو الذى يوحّد الصفوف، هو الذى يجمع الشتيت، هو الذى يوحدّ المتفرقّ. أمّا إذا سرنا وراء غير الإسلام، فإنّنا سنتفرّق شذر مذر، سنتفرق إلى يمين ويسار، واليمين درجات واليسار درجات. هناك يمين اليمين ووسط اليمين، ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار ووسط اليسار ويمين اليسار، وهناك من قبلته كذا ومن ولاؤه لكذا، ستتفرقّ الأمّة، ولا يجمعها شئ إلاّ الإسلام ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الأمّة بخير، لقد ذهبت إلى أماكن شتىّ وأقطار شتىّ، ووجدت الأمّة بخير. الأمّة فيها الخير، كامن فى أعماقها، نرى ذلك فى هذه التجمعّات على الإسلام، نرى ذلك فى المليونين (بل أكثرمن المليونين) من الحجاج، نرى ذلك فى مواسم الحج والعمرة التى تمتلئ بالملايين، نرى ذلك فى المساجد التى تمتلئ بالمصلين، نرى ذلك فى هذه الصحوة الإسلامية التى حرّكت العقول والقلوب والعزائم. ولكن الأمّة تحتاج إلى قيادة، تحتاج إلى من يقودها باسم الله فيفجر طاقاتها المكنونة، وهى طاقات هائلة لا يفجرها إلاّ الإيمان.

هذه الأمّة لا تُقاد بالقوميّة، ولا بالاشتراكيةّ، ولا بالديمقراطية، ولا بالثوريّة، ولا بأىّ شئ من هذا. إنّما تقاد حينما ترفع المصحف أمامها، وتعلن عليها: (لا إله إلاّ الله والله أكبر). حينما تقول: يا رياح الجنّة هبّى، ويا كتائب الله سيرى، تسير الأمّة وراءك.

الأمّة لا يمكن أن يجمعها شئ أو يحرّكها شئ إلاّ الإسلام، ولكن أعداء الأمّة يعرفون ذلك، ولذلك يسعون إلى تفريقها (فرق تسد) لابدّ من تفريق هذه الأمّة بأىّ وسيلة، لابدّ أن لا يكون لهذه الأمّة شمل ملتئم!

فى بعض البلاد يثيرون مسألة الأقليات غير المسلمة: الأقباط فى مصر، النصارى فى لبنان، وهكذا.

إذا لم توجد أقلية غير مسلمة، يثيرون المذهبيّة الإسلاميّة والطائفيّة الإسلاميّة: سنّة وشيعة.

إذا لم يوجد سنّة وشيعة، يثيرون مسألة العرقيّة: عرب وبربر أو عرب وأكراد.

إذا لم يوجد حتى هذه العرقيّة يقولون: سلفى وصوفى، مذهبى ولا مذهبى، وهكذا، لابدّ أن يحاولوا أن يوجدوا شيئاً يفرّق الأمّة، ونحن نريد أن نجمع الأمّة بكلّ طوائفها وبكلّ فصائلها.

ينبغى لأبناء الصحوة الإسلاميّة أن يدركوا هذه الحقيقة: أنّ أعداءنا يريدون أن يفرّقونا، وأن يمزّقونا شرّ ممزق، وألا يرتفع لنا علم، وألا نجتمع تحت راية. ولابدّ أن ندرك كيدهم، وأن نرد كيدهم فى نحورهم، وأن نعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم.

ينبغى أن نكون أكثر وعياً لما يكيده لنا أعداء الإسلام.

إنّ الإسلام – أيّها الإخوة – فى هذه الآونة مُحاصر من كل مكان، يُضرب الإسلام وللأسف بأيدى أبنائه.. بأيدى ولاته وحكّامه. خوفوا الحكام من الشعوب.. من الصحوة الإسلامية.. من الدعوة الإسلامية، فأصبح هناك هوّة واسعة وفجوة عميقة بين الحكّام والمحكوميين، ولابدّ لنا أن نوعّى النّاس أنّ الجميع فى خطر إذا لم يتحدوا على الإسلام، إذا لم يستقيموا على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله ﷺ.

لا مَخْلصَ لنا – أيها الإخوة – إلاّ بالإسلام، نقول ما قاله ابن الخطّاب: نحن كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، ومهما نطلب العزّ بغيره أذلّنا الله.

لابدّ لنا أن نستمسك بهذا الدين، ونضّحى فى سبيله، ونبذل من أجله

النفس والنفيس، والغالى والرخيص، نقدّم أنفسنا ونقدّم أولادنا، كما قدمت الخنساء أولادها الأربعة فى معركة القادسية، وأوصتهم أن يُقدموا ولا يحجموا، وأن يثبتوا ولا يترددوا، حتى قتلوا كلهم فى المعركة، ولمّا بلغها نعيهم لم تلطم خدّا، ولم تشقْ جيباً، ولكن قالت: الحمد لله الذى شرّفنى باستشهادهم، وجعلهم شفعاء لى يوم القيامة!!

يا أيها الإخوة:

ما أحوجنا إلى عيد تعلو فيه كلمة الإسلام، وترتفع فيه راية القرآن. ما أحوجنا إلى عيد بلا مشكلات ولا أحزان ولا دموع.

نحاول أن نجد عيداً من هذا النّوع بحيث نبتسم ونضحك من قلوبنا ونفرح الفرحة الحقيقيّة، فلا نكاد نجد هذا العيد.

أبو الطيب المتنبى قال يوما فى عيد من الأعياد:

عيد بأية حال عُدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أمّا الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد

استوحش الشاعر من العيد لفراق أحبّته، لأنّ أحبته كانوا بعيدين عنه. ماذا يقول المتنبى لو رأى أعيادنا هذه، وأمتّنا تقاسى ما تقاسى، فى فلسطين ولبنان، فى البوسنة والشيشان، فى كشمير والفلبين، فى كثير من بلاد الإسلام. بعض ما تعانيه من صنع أعدائها، وبعض ما تعانيه من صنع أيديها، كما يحدث فى أفغانستان، وكما يحدث فى الصومال، وكما يحدث فى كثير من بلاد الإسلام.

ما أحوجنا إلى عيد نبتسم فيه، ونشعر بالفرحة الكبرى، ونقول: هذا هو العيد الأكبر ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾

[الروم ٤-٦].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

الحمد لله ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيد الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [غافر :٣] . وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك ، يسبّح له ما فى السماوات وما فى الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شئ قدير، وأشهد أنّ سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنتّه، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمّا بعد فيا أيها المسلمون:

فى هذا اليوم الكريم لا يسعنا إلاّ أن نمدّ أيدينا إلى الله تبارك وتعالى، نسأله أن ينصر أمتنا على أعدائها، وأن ينصر ديننا على أديان الشرك والكفر.

الهمّ انصر الإسلام وأعزّ المسلمين. اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هى العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى.

اللهم انصرنا على اليهود الغادرين ، وانصرنا على الصربييّن الحاقدين وانصرنا على الوثنييّن المتعصبين، وانصرنا على الروس الجاحدين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهمّ ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذل دولتهم، وأنزل عليهم بأسك الذى لا يردّ عن القوم المجرمين.

اللهمّ انصر إخوتنا المجاهدين فى سبيلك حيثما كانوا. اللهم أيّدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التى لا تنام، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام.

اللهم إنّا نسألك أن تكرمنا ولا تهيننا، اللهم أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا،واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنّا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنّك سميع قريب مجيب الدعوات ياربّ العالمين عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

١٨ - عيد بأية حال عدت يا عيد

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

مرّت علينا أيّام العيد، وهنّأ بعضنا بعضا: عيدكم مبارك، وعساكم من عوّاده، وكلّ عام وأنتم بخير. وذبح الناس الذبائح، وأكلوا حتى امتلأت بطونهم، وجمعوا على موائدهم ما لذّ وطاب من الطعام والشراب.

ومن قبل هذا العيد مرّ عيد آخر، قبل عيد الأضحى مرّ عيد الفطر، وقبل هذا وذاك مرّت أعياد وأعياد.

ولكن العيد الحقيقى الذى ينبغى أن تبتسم له الشفاة، وأن تفرح به القلوب، وأن تنشرح به الصدور، وأن تعلن الأمّة به الفرحة الكبرى: هو العيد الذى ينتصر فيه المسلمون انتصاراً حقيقياً، حين تعلو كلمة الإيمان، حين ترتفع راية القرآن، حين تُحَكّم شريعة الإسلام، حينما تتحرّر أرض الإسلام، حينما يصبح المسلمون سادة أنفسهم، حينما يصبح أمرهم بأيديهم ولا يكونون كما قال الشاعر:

ويُقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ولا يُستأذنون وهم شهود!

العيد الذى نتنظره هو العيد الذى يصبح المسلمون فيه أحراراً سادة، هم الذين يُملون القرار، وهم الذين يتخذونه من عند أنفسهم.

حين يكون المسلمون قادرين على الدفاع عن حرماتهم، على الذود عن حماهم، لا يُهتك لهم عرض، لا تُنتهك حرمة، لا يُسفك دم، لا يهدّم مسجد، لا يُدمرّ منزل، حينما يأتى هذا اليوم يحقّ لنا أن نقول: عيدكم مبارك، وكلّ عام وأنتم بخير.

أمّا أعيادنا اليوم فليست أعياداً، إنها أعياد لا طعم لها، لا معنى لها.

كيف نعيّد؟ كيف نفرح؟ كيف نضحك؟ كيف يمتلىء التليفزيون بتلك

البرامج المفرحة أو غير المفرحة، النّافع وغير النّافع منها، وإخوتنا المسلمون هنا وهناك يُذبّحون.. يُقتّلون. يُبادون.. يُنتهكون؟ قولوا لى بالله كيف نفرح؟

كيف نفرح والمسجد الأقصى أسير فى أيدى يهود، يتحكّمون فيه، ويفعلون أفاعيلهم ليهدموه، ويقيموا معبدهم على أنقاضه؟

كيف نفرح وأرض النبوّات تُنتهك فيها الحرمات، من اليهود أحرص الناس على حياة؟

كيف نفرح وإخوتنا فى البوسنة والهرسك إلى اليوم يذوقون العذاب، ويشربون الكأس المرّة، على أيدى أولئك الحاقدين الصليبيّين المتوحشين؟

كيف نفرح وإخوتنا فى جامو وكشمير يلقون من الوثنية المتعصبّة البغيضة ما يلقون؟

كيف نفرح ولنا إخوة فى كلّ مكان يشكون الاضطهاد، ويشكون مرارة الأذى، ويتجرّعون الصاب والعلقم؟

كيف لأمتّنا أن تفرح بالعيد وهذا حالنا؟

من قديم قال أبو الطيب المتنبى:

عيدٌ بأيّة حال عُدت يا عيدُ بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أمّا الأحبّة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد

كان أبو الطيب يشكو الغربة.. الغربة عن الأهل والوطن، يشكو فراق الأحبة، فليتنا نشكو مثل هذا.

إنّنا نشكو ما هو أوجع.. ما هو أشدّ إيلاماً، نشكو مآسى حلّت بالأمّة، فأخرّت مسيرتها، ومزّقت صفوفها، وأصبح أعداؤها يتحكّمون فيها ولا تستطيع أن تردّ لهم أمرا.

ماذا نصنع أمام هذه المصائب والكوارث والمآسى، ونحن عاجزون مشلولو الأيدى أمام ما يحدث لنا ولإخوتنا هنا وهناك؟

نشرات الأخبار معظمها مآسى المسلمين، حتى قال لى بعض الإخوة: أكاد أغلق التلفزيون كلّما جاءت نشرة الأخبار، لأنّ الأخبار التى تتصدرها مآسى إسلاميّة.

أحزان وراء أحزان، وهموم وراء هموم، هذا ما نراه فى كلّ يوم. المصائب تصابحنا وتماسينا، وتراوحنا وتغادينا. لا نستطيع أن نغلق أعيننا، ولا نستطيع أن نصمّ أسماعنا، أمام هذا الصراخ. لا يستطيع الإنسان أمام هذه المشاهد، أن يغلق بصره وسمعه.

ماذا نصنع ؟

الأمّة التى بوّأها الله مكانة الشهادة على النّاس، والتى جعلها خير أمّة أخرجت للناس، أمّة محمّد، أمّة القرآن، أمّة الإسلام، أمّة الخلود، الأمّة التى بلغ تعدادها ملياراً ونحو ربع المليار من البشر (ألف مليون ومائتا مليون من النّاس)، كثرة كغثاء السيل.

مئات الملايين، ولكنّها لا تستطيع أن تصنع شيئا.

ما أكثر الناس، لا، بل ما أقلّهم الله بعلم أنّى لم أقل فندا
إنّى لافتح عينى حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

مئات الملايين، ولكنّها لا تغنى عند الخطر، لا تفعل شيئاً يُذكر.

ما الذى جرى لهذه الأمّة؟ ما الذى جرى لها حتى يحدث لها ما حدث؟ عندها وسائل القوّة، عندها مقوّمات السيادة والريادة: عندها القدرة البشريّة. عندها القدرة الاقتصادية، فهى تملك معظم منابع النفط، وتملك من المعادن، وتملك من الرقعة الزراعيّة. عندها المواريث الحضارية، عندها القوّة الروحيّة لأنّها تملك أعظم رسالة البشر، رسالة الإسلام الخالدة.

عندها مؤهّلات السيادة، ولكنّها لم تشكر نعمة الله على هذا، لم تستفد من هذه الطاقات وهذه القوى، تركت الإسلام، نركت مصدر عزّها ومجدها، فتحكّم فيها غيرها.

لا قيام لهذه الأمّة.. لا عزّ لها.. لا انتصار لها.. لا وحدة لها.. لا سيادة لها، إلاّ بالاستمساك بعرى الإسلام. حينما تتمسّك بالإسلام سيعزّها الله، إذا نصرت الله نصرها الله، إذا أعزّت دين الله أعزّها الله، إذا كانت مع الله كان الله معها: ﴿.. **إن تنصروا اللَّه ينصركم..**﴾ [محمّد: ٧]، ﴿**إن ينصركم اللَّه فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الّذى ينصركم من بعده وعلى اللَّه فليتوكّل المؤمنون**﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ما الذى جرى لأمتّنا حتى حدث لها ما حدث، ومرّت عليها الأعياد وحالها هكذا؟ كيف نفرح بالعيد؟ كيف نضحك للعيد وهذه حال أمتّنا؟

نحاول أن نرسم البسمة على الشفاه، نحاول أن نرسم الإشراقة على الوجوه، نحاول أن نتظاهر بالفرح والسرور، ولكن هناك جراح عميقة غائرة فى سويداء قلوبنا لا نستطيع أن ننساها، وإخوتنا فى كلّ مكان يعانون ممّا نعرفه ونقرأه ونسمعه ونشاهده.

مشكلتنا فى هذا العصر أنّ الأحداث أمامنا، المسلمون قديماً ضاعت منهم الأندلس وحدث للأندلسيّين ما حدث، ولكن ما كان النّاس يرون هذا ولا يسمعونه. كانوا يسمعونه بعد أن يقع بأشهر أو بسنين، أمّا نحن الآن فنشاهد الأحداث لحظة بلحظة، فلا عذر لنا أمام هذه المآسى التى نشهدها ونسمعها ونعايشها.

إخوتنا فى البوسنة حديث العالم كلّه الآن، صراع بين الوحشيّة الغادرة.. بين الجيش المسلّح بأحدث الأسلحة وبين عُزل ضعاف، صراع بين الذئاب والُحملان، صراع بين الضفدعة والثعبان، صراع بين اللحم والسكين، لا تكافؤ، لا تقارب فى القوى.

النظام العالمى الجديد، مجلس الأمن، هيئة الأمم المتحدة، ماذا صنعوا؟ حظروا على المسلمين أن تُرسل إليهم الأسلحة، وإلاّ أُتيحت الفرصة للتساوى فى القتل! هكذا قال أحد السياسيين البريطانيّين! أى لا ينبغى أن يحدث التساوى

فى هذا، يُمكّن طرف من قتل الطرف الآخر حتى لا يستمر القتال، يُتاح لطرف أن يقتل وعلى الطرف الآخر أن يستكين ويصبر !!

ماذا فعل النظام العالمى الجديد المزعوم؟ ماذا فعلت الهيئات الدوليّة؟ لم تصنع شيئاً إلاّ الكلام، يُقال: سنفعل وسنفعل، وما فعلوا ولن يفعلوا إلاّ بعد أن تذهب أراضى المسلمين وديارهم ويُمزّقوا شرّ مُمزّق، ولا يبقى لهم إلاّ شىء لا قيمة له. هنالك يدعون إلى إنهاء القضيّة والمصالحة ! أىّ مصالحة؟! على أىّ شىء؟!

ماذا فعل المؤتمر الإسلامى الذى اجتمع من قبل فى جدّة. واجتمع فى إسلام آباد، وسيجتمع من بعد فى مكان كذا؟ ماذا صنع هؤلاء؟ كلام فى كلام. وكما قال الشاعر:

إنّ ألفَىْ قديفة من كلام لا تساوى قذيفة من حديد

حتى كلامنا إذا تكلّمنا فهو كلام خافت، أشبه بالهمس الذى ينيم اليقظان لا بالصراخ الذى يوقظ النّائم، ويحرّك الساكن، صوت خافت، صوت ضعيف.

كان من أوصاف عمر رضى الله عنه أنّه كان إذا تكلّم أسمع. رأت إحدى الصحابيّات بعض الشباب يمشون متماوتين، فسألت من هؤلاء؟ قالوا لها: هؤلاء نسّاك عبّاد، فقالت: كان عمر ناسكاً، ولكنّه كان إذا مشى أسرع، وإذا تكلّم أسمع، وإذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وهذا هو النّاسك حقّا.

هذه مظاهر القوّة، أمّا نحن اليوم فنتكلّم فلا نسمع، ونمشى فلا نُسرع، ونطعم فلا نشبع، ونضرب فلا نوجع. هذه حال أمتنا.

انظروا ماذا تفعل إسرائيل. نحن نركض وراءها، نلهث من خلفها، نتنازل عن شىء بعد شىء، وهى كأنّما تخرج لنا لسانها، تسخر منّا، تستهزىء بنا. كلّما أسرفنا فى التذلّل، أسرفت فى التمنّع والتدلّل، كلّما بالغنا فى الانحناء، بالغت فى الإباء، كلّما زدنا تنازلاً زادت تعاليا، وهكذا.

أبناء القردة والخنازير الذين غضب الله عليهم فى كتبه، أصبحوا يسخرون منّا. صاحب الدار يركض وراء اللص، يرجوه أن يدع له حجرة من بيته.. من داره

الكبيرة التى اغتصبها، واللص لا يريد أن يترك له حتى هذه الحجرة ! هم يقولون للفلسطينيين الآن ! اذهبوا إلى الأردن، ليس لكم مكان فى فلسطين.

وهذه المفاوضات التى يركضون وراءها تضييع للأوقات، ليس هناك عمل مُجْد إلاّ الجهاد فى سبيل الله، ما غُزى قوم فى عقر دارهم إلاّ ذلّوا، ما أُخذ بالقوة لا يستردّ إلاّ بالقوّة، هذا ما قاله الشاعر العربى من قديم بحكم الفطرة والأنفة:

وكنت إذا قومٌ غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذا يالهمذان ظالمُ ؟
متى تحمل القلب الذكىّ وصارماً وأنفاً حميّاً تجتنبك المراغم

تُرى ألم يعد لنا قلوب ذكيّة، أو نفوس أبيّة، أو أنوف حميّة، أو صوارم عربية، ندافع بها عن أنفسنا، حتى تجتنبنا المراغم، وحتى نتحرّر من المظالم ؟؟

ما الذى حدث لنا؟ كنّا نغزو فأصبحنا نُغزى، كنّا نقود فأصبحنا نُقاد، كنّا سادة العالم فأصبحنا فى ذيل القافلة.

لا بدّ من رجعة إلى الله تبارك وتعالى.

إنّ اسرائيل تريد أن تصبح هى سيّدة المنطقة، وهى الآن تقول: أنا التى أحمى العالم ! وممّ تحميه؟ من الإسلام. ثمّ تسمّى هذا الإسلام شيئاً اخترعته هذه الأيام، وهو اسم: الأصوليّة ! بدل أن يقولوا (الإسلام) بصراحة يقولوا: نحن نحمى العالم من الأصوليّة !

ما الأصوليّة؟ الأصوليّة هى الدعوة إلى كتاب الله وسنّة رسوله.. إلى تحكيم الشريعة، عودة هذه الأمّة إلى جذورها، إلى ذاتيّتها، أن لا تخضع لغيرها، أن لا ترضى بغير كتاب الله منهاجا، وبغير رسول الله ﷺ إماماً.

تحدث حوادث إرهاب فى أمكنة من بلاد المسلمين ونحن لا نقرّها، فيلصقونها بالإسلام، وينسبونها إلى (الأصوليين) ليبغضوا الناس فيهم، فيسمّون الإسلام: (الأصوليّة)، أو يسمّونه (تطرّفاً)، أو (تشدّداً)، أو (إرهاباً)! والإسلام لا يقرّ أن يقتل إنسان برىء بغير حق، ولكن هذا يحدث فى كلّ أنحاء العالم، فلماذا يُركّز على حوادث تحدث فى بلاد المسلمين وحدها، ويُتخذ منها ذريعة لضرب الإسلام، وضرب التدين؟

وأصبح يُكتب فى صحف سيّارة: إنّ التدين هو مصدر هذا الخطر كلّه!

الندّين مادام موجوداً فهو الذى يفرز التطرّف، ويفرز الأصوليّين ! لا بدّ إذن من سياسة قائمة على فلسفة سمّوها: (تجفيف المنابع). بمعنى: أنه ينبغى فى الإعلام وفى التعليم وفى الثقافة أن تُحذف الأشياء التى من شأنها أن تنشىء العقليّة المسلمة، والنفسيّة المسلمة، والشخصيّة المسلمة.

وهذا ما فعلوه فى عدد من البلدان[1]، حذفوا من مناهج التعليم كلّ ما يثير حميّة المسلم.. كلّ ما يخلق فيه الاعتزاز بدينه.. كلّ ما يبعث فيه روح الجهاد.. كلّ ما يثير فيه الغيرة على دينه وعلى أمّته.

هذا ما يحدث فى بلاد كثيرة. يغرسون فى الطفل منذ نعومة أظفاره ما يسمّى (نسبيّة الحقائق)، أى: أنّ الحقائق ليست مطلقة، إذا كنّا نحن ندعو إلى التوحيد ونؤمن بالتوحيد، فهناك من يؤمن بالتثليث، وهناك من يرى أنّ الإله يتجلّى فى شجرة أو بقرة أو نهر أو صنم، هناك وثنيّة، ومعظم العالم وثنيّون، هؤلاء بشر مثلنا من حقّهم أن نحترمهم وأن نقرّ بدياناتهم !!

إذا كنّا نؤمن برسالة محمد فهناك من لا يؤمن بها، هناك من يؤمنون برسل آخرين، وهناك من لا يؤمنون برسالات سماويّة. إذا كنّا نؤمن بالآخرة وأنّ هناك جنة ونارا، فهناك أناس يقولون بتناسخ الأرواح، وهناك آخرون يقولون: إنّه لا جنة ولا نار!!

هذه هى (النسبيّة) التى يتحدثون عنها، سوفسطائيّة جديدة.

هذا ما يجرى فى بعض البلدان، وتحاول بلاد أخرى أن تقلّدهم.

(تجفيف المنابع) هو الخطر الذى نراه الآن فى كلّ مكان.

لقد قرأت فى إحدى الصحف – فى صحيفة يوميّة سيّارة فى دولة خليجيّة – أشياء تُذهل الإنسان، لا يكاد الإنسان يتصوّرها، كيف يحدث هذا فى بلد عربى مسلم، ولا تهيج الدنيا؟ ولا يُقذف هذا الكاتب بالحجارة من الأطفال فى الشوارع؟ كيف يحدث أن يكتب إنسان يدين التاريخ الإسلامىّ كلّه.. يدين الفتح الإسلامى كلّه؟ ويقول: الروم كانوا عادلين والمسلمون فى حربهم للروم كانوا ظالمين! المعتصم الذى نتحدّث عنه ونقول (وامعتصماه)، كان رجلاً ظالماً،

---

(١) مثل تركيا وتونس بصراحة، وفى بلاد أخرى بخبث وتدرج. (القرضاوى).

ذهب إلى أناس فقتلهم فى بلادهم من أجل امرأة ! والمسلمون حينما ذهبوا إلى الأندلس كانوا غزاة لقوم مسالمين، ولذلك حُقّ لأهل البلاد أن يطردوهم، وأن يستردّوا بلادهم من هؤلاء الغزاة! ويقول: إنّ (إسرائيل) إسم معروف فى كتبنا وفى قرآننا وفى الكتب المقدسّة، لم يكن للعرب حقّ فيها، هى حقّ بنى إسرائيل، وهذا وطنهم وقد استردّوه، فليس لفئة أن تدّعى أنّها صاحبة الحق !

هذا يُكتب فى صحفنا، هذا ما لم يقله اليهود، وما لم يقله (هرتزل) ولا (ابن جريون)، هؤلاء لم يقولوا إنّهم أصحاب الحق وحدهم، بل قالوا: نقسّم الأرض بيننا، أمّا هذا فيقول: لا، ليس لنا – نحن أصحاب الأرض كما نزعم – حقّ فى هذا !!

جهل هذا الشخص المتعالم أنّ الروم كانوا مستعمرين لبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، وأنّ المسلمين كانوا محرريّن لهذه الشعوب، وأنّ الأندلسييّن هم الذين استعانوا بالمسلمين لينقذوهم، وأنّ بنى إسرائيل لم تقم دولتهم فى فلسطين أكير من أربعمائة (٤٠٠) سنة، وأنّهم حينما دخلوا فلسطين لم تكن فارغة، وحين خرجوا منها لم تكن خالية، فقد كان فيها أهلها، أهل فلسطين.

وهو يدافع عن الماسونية ويقول: افتحوا المحافل الماسونية، الماسونية ،هيئة خيريّة إنسانيّة !!

الماسونية – أيها الإخوة – أداة من أدوات اليهودّية العالميّة، ومن أدوات الصهيونية، للتأثير على العالم وسياسته.

أىّ عيد هذا الذى يُقال فيه هذا الكلام ويمر بسهولة؟

أىّ عيد هذا الذى يحدث فيه ما يحدث لأمتنا الكبرى، من المحيط إلى المحيط، أمّة الألف وثلث الألف من الملايين؟

منذ نحو ستين سنة كتب أحد الشعراء[1] فى أحد الأعياد قصيدة، يبكى فيها حال المسلمين، وممّا قاله فى قصيدته:

قالوا: عجبنا ما لشعرك باكياً ... فى العيد، ما هذا بشأن معيّد؟

ما حيلة العصفور قصّوا ريشه ... ورموه فى قفص وقالوا: غرّد؟!

(١) هو الشاعر المصرى الكبير: محمود غنيم، والقصيدة نشرت فى مجلة (الرسالة).

كيف يغرّد العصفور إذا قُصّ جناحه ونتف ريشه ووضع فى القفص؟ هل يستطيع أن يغرّد؟ إنّه ينوح ولا يغرّد.

وهذه هى حالنا مالم نصطلح على الله تبارك وتعالى، ما لم نقرع باب الله بالتوبة، ما لم نرجع إلى أنفسنا، ما لم نقل ما قال أبونا آدم وأمّنا حوّاء: ﴿ .. **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ليس معنى هذا – أيّها الإخوة – أنّه ليس هناك بصيص من أمل، وأنّ الصورة سوداء من كلّ جوانبها. إنّنا حين نتألم، فهذا دليل حياتنا. تكالب الأعداء علينا يدلّ على أننا أحياء، فالأموات لا يعاديهم أحد.

المبشرات كثيرة أيّها الإخوة. فبجوار هذا هناك صور مشرقة:

المساجد ممتلئة بالمصلّين والحمد لله، موسم الحج عامر بالحجاج، اثنان من الملايين حجّوا هذا العام. الذين يقرأون الكتاب الإسلامى بالملايين، المنادون بتطبيق الشريعة جماهير غفيرة فى كلّ مكان، صوت الإسلام لا زال مرتفعا.

الإخوة فى البوسنة والهرسك – رغم ضعفهم ووهن حالهم، وعدم وجود سلاح فى أيديهم – قاوموا ولا زالوا يقاومون، كانوا يظنّون أنّ (سراييفو) ستسقط بعد ثلاثة أسابيع، فمرّ عليها سنة، ومرّ عليها بعد السنة شهر وشهر، وهى صامدة.

قالت إسرائيل: إنّ الانتفاضة ستنتهى بعد أسابيع، وإنّ ثورة المساجد ستنطفىء بعد أيّام أو أشهر على الأكثر. ولكن الجذوة لم تنطفىء، ظلّ أطفال الحجارة يكْبرون ويكبّرون، إلى أن أصبح الأشبال أسوداً، وأصبحوا يخيفون إسرائيل فى كلّ مكان.

رغم تكسير العظام، ورغم إزهاق الأرواح، ورغم سفك الدماء، ورغم الاعتقال والسجون، لازال أشبال الحجارة يعملون.

وإسرائيل تحاول أن تعوّض عن هذا بحركتها فى كلّ مكان، فى المنطقة وفى غير المنطقة، حتى ذهبت إلى الهند وقالت لهم: نحن معكم ضد الإسلاميّين.. ضد الأصولية الإسلاميّة. واجتمع الاثنان كما قال الله تعالى: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا..** ﴾ [المائدة: ٨٢].

لازال المجاهدون يعملون، وإخوتنا فى كشمسر لازالوا يجاهدون.

هناك إذنً ولا شك صور طيّبة.

ذهب أحد الصحفيّين الكنديّين إلى البوسنة وإلى مدينة (سيرفتشا)، وعايش الإخوة هناك، فأدهشه صلاتهم وقوّتهم واستمساكهم بدينهم، رغم حداثة رجوعهم إلى الدين، فقد كانوا تحت حكم الشيوعيّة.

أعجبه هؤلاء فعاش بينهم، ودخل فى دينهم، وتزوّج منهم، وأصبح واحداً منهم. ثمّ أراد أن يودّعهم وقال: إنّى مشتاق إلى أن أذهب إلى فلسطين، وأريد أن أزور المبعدين فى (مرج الزهور)، هؤلاء الصامدين الذين لم يركعوا أمام ضغط اليهود، لم يحنوا رؤوسهم، لم يطأطئوا ظهورهم أمام وعد أو وعيد.. أمام إغراء أو تهديد، رفضوا أن يعودوا إلاّ جميعا، أو يبقوا فى هذه الأرض حتى تكون لهم مقابر.

أراد أن يذهب إلى هؤلاء فقال له الإخوة فى البوسنة: نريد أن نبعث لك شيئاً لإخواننا.. هديّة.. مساعدة، فماذا نبعث؟

جمعوا ما معهم فما استطاعوا أن يجمعوا إلاّ اثنى عشر دولاراً. قالوا: خُذ هذه الدولارات الاثنى عشر وأعطها لإخواننا مساعدة وهديّة منّا لهم. كانت رمزاً، ليست شيئاً عظيما، ولكنّها شىء عظيم فى قيمته لا فى مادّته.. فى كيفه لا فى كمّه.

ذهب الأخ الكندى إلى أرض المبعدين فى (مرج الزهور)، وبلّغهم رسالة إخوانهم، وأنّهم معهم بقلوبهم، وأنّهم يتمنّون لو تحرّرت أرضهم ليأتوا إلى

فلسطين ليجاهدوا معهم. وقال لهم: إنّهم لم يستطيعوا أن يجمعوا لكم إلاّ اثنى عشر دولاراً، ويرجون أن تقبلوها منهم.

وبكى الإخوة وقالوا: الإخوة فى البوسنة يهمّهم أمر إخوانهم فى فلسطين، ولم يشغلهم ما هم فيه من مصائب ومآسٍ؟! هذا هو شأن المسلم، لا يُشغل بأمره الخاص عن أمر إخوانه.

ولهذا قال الإخوة: اجمعوا كل ما تستطيعون لنردّ الهدية بهديّة مثلها. كان النبى عليه الصلاة والسلام يقبل الهديّة ويكافىء عليها، فلنكافىء إخواننا على هديّتهم. فجمعوا كلّ ما يستطيعون جمعه، ممّا معهم وممّا حولهم، حتى جمعوا (اثنى عشر ألف دولار)، وقالوا: هذه هديّتنا إلى إخوتنا.

هذه هى الروح الإسلاميّة أيّها الإخوة.

الإسلام بخير، مهما حدث ما حدث يستطيع المسلمون أن يفعلوا الكثير.

سألنى بعض الإخوة عمّا كتبه الأستاذ (فهمى هويدى) فى صحيفة (الشرق) وفى (الأهرام) وفى غيرهما: أنّ إنقاذ البوسنة مقدّم على فريضة الحج. قلت له: لسنا فى حاجة إلى أن نوقف الفريضة، بل لو أنّ الذين يحجون متطوّعين تبرّعوا بقيمة حجّ التطوّع، لجمعنا المليارات.

المليونان اللذان حجّا هذا العام، فى العادة لا يوجد أكثر من ثمنهم أو سبعهم يحجون للمرّة الأولى، ومعظم الحجاج دائماً ممّن حجّوا مرتين وثلاثاً وعشراً وعشرين وأربعين، أعرف أناساً حجّوا أكثر من أربعين مرّة.

هؤلاء الذين يحجّون حجّ التطوّع لو أنهّم بذلوا نفقة هذا الحج لله عزّ وجلّ، وأعانوا إخوانهم، لكان هذا أفضل مرّات ومرّات من حجّ التطوّع.

وفى رمضان، قالوا: كان هناك فى ليلة السابع والعشرين نحو مليونين فى الحرم الشريف. فلو أنّ هؤلاء دفعوا نفقة هذه العمرة – وهى عمرة تطوّع – ولو أنّ المسلمين دفعوا زكاة الفطر هذا العام لمساعدة الإخوة فى البوسنة – ومعظم المسلمين فى العالم يؤدّون زكاة الفطر – لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير، وأن يجمعوا الكثير.

ولكن من الذى يقول فيسمع له؟ من ينادى المسلمين؟

كانت لنا قديماً خلافة، يستطيع الخليفة أن يقول: يا أيّها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها، ابذلوا لإخوانكم فى فلسطين، أو فى البوسنة والهرسك، فيستجيب الناس للخليفة، ويطيعون أولى الأمر منهم.

نصارى الكاثوليك لهم بابا فى الفاتيكان، والنصارى البروتستانت لهم مجلس الكنائس العالمى، والأقباط الأرثوذكس لهم بطريرك أو بابا فى مصر، وهكذا، كلّ جماعة لهم قيادة دينيّة إلاّ المسلمين.

كان قديما هناك من يُسمّى (شيخ الإسلام)، يستطيع أن ينادى المسلمين فيستجيب النّاس له. ولكن هذا لا يوجد الآن، لأن العلماء أصبحوا فى ركاب الساسة، أفسدتهم السياسة، فلم تعد الشعوب تثق بعلمائها، ويقولون: العلماء فى كل بلد تبع للسلطة الحاكمة، ولذلك العلماء فى البلاد الاشتراكيّة كانوا يؤيّدون الاشتراكيّة، وفى البلاد غير الاشتراكيّة يهاجمون الاشتراكيّة، وهكذا.

المسلمون إلى خير، ولكن الضعف فى القيادة، كما قال محب الدين الخطيب رحمه الله من قديم.

نحن فى حاجة إلى قيادة، وفى حاجة إلى وعى.. إلى عقل يفهم الإسلام، ويفهم الحياة، ويفقه سنن الله تعالى، وإلى قلب يؤمن بالإسلام ويحب الله ورسوله، وإلى إرادة تنفذ أحكام الإسلام وتلتزم به.

لقد وجدنا من الناس من ينكر إرسال قيمة الأضحية إلى الإخوة فى البلاد التى تموت من الجوع، ويقول: لا يجوز نقل الأضحية، وهناك من يقول: لا يجوز نقل زكاة المال، ومن يقول: لا يجوز نقل زكاة الفطر! هؤلاء يريدون أن يختصروا دار الإسلام فى مدينة، وأن يختصروا أمّة الإسلام فى قبيلة، وأن يكرّسوا هذه التجزئة التى ما أنزل الله بها من سلطان.

الإسلام أمّة واحدة، والمسلمون أمّة، هكذا سمّاهم الله، وليسوا أمماً. وأوطان الإسلام دار اسمها (دار الإسلام)، والمسلمون يسعى بذمّتهم أدناهم،

وهم يد على من سواهم، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه..»[1] أى: لا يخذله ولا يتركه يواجه المصائب وحده، فكيف يقال هذا؟

ما الذى جرى لهذه الأمّة حتى وجدنا مثل هذه الأقوال العجيبة والغريبة التى تصدر ما بين الحين والحين؟

الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة، وينبغى لكلّ واحد منها أن يهتمّ بأمر إخوانه.

اهتم بإخوانك فى شدّتهم حتى يهتموّا بك فى شدّتك. لا معنى للإيمان إذا عشت وحدك، إذا قلت: أنا وليخرب العالم .. أنا ولتنهدّ الدنيا!

أين الإسلام إذن؟ أين الأخوّة؟ أين الرابطة التى تربطك بأخيك؟ ليس هناك رابطة أقوى من العقيدة، وليس هناك عقيدة أقوى من الإسلام.

يا أيّها الإخوة:

إنّها آلام ودموع وزفرات ونفثات لا يستطيع الإنسان أن يكتمها فى نفسه، لا بدّ أن ننفّس، لا بدّ للمصدور من نفثة، لا بّد للمكلوم من زفرة، لا بدّ للمتألّم من دمعة. فهذه دمعاتنا، وهذه نفثاتنا، ولا نملك إلاّ أن نقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

● **الخطبة الثانية:**

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

نسيت أن أضيف إلى كتاب الذلّ صفحة، لا بدّ أن نضيفها إلى هذا

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٤٧ برقم ١٣٨٦، ٢/٧٠٣ برقم ١٥٦٩).

الكتاب الأسود، وهى صفحة أولئك الذين ذهبوا يحجّون إلى بيت المقدس.. إلى المسجد الأقصى !!

لقد سألنى مندوب صحيفة (الشرق) عن هذه المأساة، فقلت له: أى حجّ؟ هل يعرف المسلمون حجّاً غير بيت الله الحرام؟ إنّ الحج المفروض على هذه الأمّة هو حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا (١).

الذين يسمّون زيارة بيت المقدس حجّاً هم النصارى، أمّا نحن فحجنا إلى بيت الله.

المسجد الأقصى عندنا أحد المساجد الثلاثة التى لا تُشدّ الرحال إلاّ إليها(٢) وزيارته ليست فرضاً، هى سنّة.. أمر مستحب.

ولكن إنّما تُستحب زيارة المسجد الأقصى حينما نكون نحن سادته، أمّا أن نذهب إليه تحت أسنّة رماح بنى صهيون، وبتأشيرة من إسرائيل، ونزوره تحت العلم الإسرائيلى الخفّاق، ويستقبلنا الإسرائيليون ليجلسونا فى أفخم الفنادق، فهذه ليست زيارة للمسجد الأقصى، هذا هو الذلّ الذى نأباه.

نحن فى زمان الذلّ العربى الإسلامى، ذللنا حتى أصبحنا نذهب إلى بيت المقدس تحت الحماية الصهيونيّة الإسرائيليّة.

---

(١) كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وقال ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت» رواه البخارى ومسلم وغيرهما، عن غير واحد من الصحابة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٧ - ١٦٨ برقم ١٨٣).

(٢) قال ﷺ: «لا تُشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى» رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنّسائى وابن ماجة عن أبى هريرة، ورواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة عن أبى سعيد، ورواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص (فيض القدير للمناوى: ٦/٤٠٣ برقم ٩٨٠٢).

ليس المطلوب منها أن نذهب إلى المسجد الأقصى لنصلّى فيه، بل المطلوب منّا أن نقود الجهاد لنحرر المسجد الأقصى، وأن نصنع ما صنع صلاح الدين من قبل، حين حرّر المسجد الأقصى بعد أن ظلّ تسعين عاماً فى يد الصليبيّين.

نحن فى حاجة إلى (صلاح) من جديد، نحن فى حاجة إلى (قطز) من جديد، نحن فى حاجة إلى أبطال من جديد، يرفضون الهوان، ويستعصون على الذلّ والانحناء.، ويقولون لإسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل: لا، إمّا أن نعيش أعزّاء، وإمّا أن نموت شهداء، ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾ [التوبة: ٥٢].

ما معنى زيارة المسجد الأقصى وإسرائيل هى التى تتحكّم فيه، تُدخل من تشاء وتخرج من تشاء، وتبقى من تشاء وتطرد من تشاء؟! أهذا الذى يسعى إليه المسلم؟! كان الملك فيصل بن عبد العزيز – رحمه الله – يتمنّى أن يطيل الله عمره حتى يصلّى فى المسجد الأقصى، كانت هذه أمنية حياته، وكان صادقاً، ولذلك تآمر عليه المتآمرون حتى قتلوه. ولكنّه كان يريد أن يصلّى فى المسجد الأقصى (الحرّ)، وليس المسجد الأقصى تحت صهيون.

أمّا الذين يصلّون فى المسجد الأقصى فى حراسة الصهاينة، فهذا أمر ميسور لكل من أراده، وقد فعلها من فعلها.

ما الذى حدث لهذه الأمّة؟

هذا زمان الذلّ العربى الإسلامى، أصبحنا نترضّى إسرائيل، أصبح هناك من يقول: تعالوا أيّها اليهود إلى مواطنكم القديمة، وخذوا أملاككم واستردّوا التعويضات. وأصبح هناك من يريد أن يزور إسرائيل، وأن يتقرّب من بنى إسرائيل!!

أين الثوريّة؟ أين جبهة الصمود والتصدّى؟ أين الكلام الكثير الكبير؟ أين هذا كلّه؟

لقد ضاع وضعنا معه، ولم يبق إلاّ هؤلاء الفتية، فتية (حماس) وفتية (الجهاد)، فتية (ثورة المساجد)، الذين يقاتلون فى سبيل الله حتى ينصرهم الله عز وجلّ. قد تكون المسألة أكبر منهم، وقد تكون إمكانات العدوّ أعظم وأخطر، ولكننا مطالبون أن نُعدّ ما استطعنا من قوّة، وأن نترك الباقى على الله عزّ وجلّ: ﴿ .. كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿ .. وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢].

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دينيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم كُن لنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنّاً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ .. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ .. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *